باب المراسلة والمناظرة

بين النقد والتقريظ

حول «اعترافات فتى العصر» و«هكذا تكلم زرادشت»

في الصفحة ١٣٠ من مقتطف يناير كلمة للاستاذ حبيب الزحلاوي عن ترجمتي لزرادشت ولاعترافات فتى العصر اوردها بعد مقدمة أعلن فيها ان لديه عشرة كتب مترجمة يعد العدة للوقوف حيالها وقفة الناقد الصارم ليحاسب مترجميها «بالدقة والضبط دون مواربة ولا تحيز».

وقد توقعت بعد هذه المقدمة ان اجد ما اتوق اليه من درس وتحليل للترجمة يظهران نواحي الشطط والتعسف فيها وعهدي بالزحلاوي طماحاً الى مجاراة كبار الناقدين فاذا به يأخذ بتقدير مطلق فيقول انه وقف طويلاً عند كتابي يراجع الأصل الفرنسي ويقارنه بالترجمة العربية فتبيّن له ان مترجم «رولا» الصادق الذي استطاع ان يسير مع موسيه على نفس واحد في مراحل القصيدة الكبيرة كلها لم يؤاته التوفيق كله هذه المرة. اما عن ترجمة نيتشه فيقول ان المترجم لم يتيسر له قراءة سائر كتب المؤلف ولو انه فعل لاستطاع ان يحاشيه بعض المزلة

هذا هو النقد الذي وعد به الأخ الزحلاوي وما هو في الواقع الا تعبير عن شعور او ابداء رأي مجرد او افصاح عن ذوق له خاصته وكل هذا له قيمته ولكن في غير مجال النقد الصحيح الذي يقوم عليه اصلاح الاخطاء ومعارضة الشذوذ في كل فن

ولو ان الاستاذ الزحلاوي من طلعة القراء المتمعنين لا من عداد الكتاب المفكرين لكنا نغتفر له ابداءه التحيد وبذله الاستهجان دون ان يسلم سبباً لتحيده واستهجانه

ومن غرائب النقد أن يقول لك كاتب ما قاله صديقنا من انهُ لا يردّ شكه وظنونه «الاّ بقيام الدليل على صدق الترجمة وصحتها وهما الاصل في عمل الترجمة»

وما نعلم ان الشك والظنون المبنية على التوهم يحق لها المطالبة بقيام الدليل على بطلانها

تلقينا من علامة الشرق الاب انستاس ماري الكرملي رسالة يناقش فيها ما جاء في المقتطف الماضي عن كتابه «نشوء اللغة العربية» فأرجأنا نشرها لعدد التالي آسفين لضيق المقام

في شرعة اي بلد أو أي عصر ورد النص على تكليف المدعى عليه إقامة الدليل

ان الاصل المترجم عنهُ والترجمة امام ناظري حضرة الناقد وما نحن ممن يدَّعون العصمة عن الزلل فليتفضل وليدلنا اين « لم يسعفنا استعدادنا النفساني » على قهوذ فكرة المؤلف واين برزنا نحن لتخفيه . . .

لو ان صديقنا الناقد أتى بأمثلة على ما يقرر ودلنا على المواضع التي قصَّرنا فيها والمواقف التي طفنا فيها على نيتشه وموسيه لكان تفضل على الأدب وهدانا الى التصحيح وما ينكر على المنطق والدليل الحق إلاَّ الجاهلون

وعسى الصديق يبذل شيئاً من جهده في هذا السبيل وعساه يتخذ هذه الطريقة المثلى في نقده للكتب الثانية الباقية فلا يتعسَّف في احكامه على مترجميها ، إن للأدب محاكمهُ وقضاته فلا يقوم طاغية في دولته

***

وأخيراً نستميح صديقنا الحاكم علينا بمثل هذا التسرع ان نسأله عما دعاه الى الظن «الكبير» باننا لم نقرأ من نيتشه الاَّ كتاب زرادشت الذي أقدمنا على ترجمته واكثر مؤلفات هذا الفيلسوف موجودة في مكتبتنا منذ عهد بعيد ثم ما لناقدنا بهم بسائر كتب المؤلف فاذا كان يعتقد أننا لم نفهم زرادشت فكيف يحسن بنا الظن ويتراءى له أننا كنا سنفهم كتاب « ما وراء الخير والشر » مثلاً ؟ ان نيتشه هو نيتشه في كل مؤلفاته ومن يقصر في فهم زرادشت فلا بدَّ له من الوقوف عاجزاً أمام « مشيئة القدرة » و« فجر الاصنام ». ونحن لم نعثر فيها طالعنا لكبار النقاد على منقاله ناقدنا من ان جميع مؤلفات نيتشه تعد كمفاتيح لزرادشت وهب أن أحدهم قال بهذا فان لنا نحن أيضاً ان نقول ان في زرادشت من الجلاء في بعض فصوله ما يعين القارىء على فهم الغامض في سائر مؤلفاته الاساسية . وليس في هذه المؤلفات كلها ما يجلو عنك ما غمض من أقوال زرادشت ولصديقي الزحلاوي ان يقرأ كتاب السيدة لو أندرياس سالومه عن عاشقها فردريك نيتشه فقد حللت هذه الكاتبة التي خشعت عبقرية الجبار أمام عبقريتها فلسفة حبها ورفيقها تحليلاً لم نقرأ خيراً منهُ فكانت كلما وقفت أمام عقبة من تاريخ هذه الفلسفة ترجع الى زرادشت أولاً ثم الى سائر الكتب لتذليل صعابها

وعلى كل فاكنا ملزمين نحن بالرجوع الى أي تأليف لنيتشه عند ترجمتنا زرادشت

لان مهمتنا كانت قاصرة على نقل ما في هذا الكتاب الى العربية دون أن تتخطى دائرته تفكيراً وتعبيراً

***

أما ما يقوله الناقد في ترجمتنا للاعترافات من أننا تهاونا فيها تهاوناً لا أرضاه لنفسنا لاننا كنا على زعمه نترجم الفصل منها بنصف ساعة فنقول مجرد عن كل دليل ونحن نصرح هنا أننا لو اعدنا طبع الاعترافات فان نستطيع تبديل شيء فيه كما يظن لاننا ترجمنا الكتاب وطبعناه تحت اشرافنا وراجعنا تلامذته ثلاث مرات ، هذا ماوصلنا اليه وهذه هي طاقتنا فان تفضل الناقد أو أي أديب آخر بتصحيح فاننا نأخذ به ونشير الى مصدره ونكرن له معاونتنا في عمل ان كان منه فائدة فهي ذاهبة الى محجة كل اديب ومستقره في رغباته لا في الزمان

ثم ان الناقد يتهمنا زاعماً اننا انهينا شيئاً بضلالات عصر موميه وشكوكه والحاده ، وهو انه رجع الى تمهيدنا ليوفر على نفسه هذا النقد الفاشل لاننا قلنا بصراحة : اما هذا فداء العصر « عصر موميه » لم يزل يراود الشيبة وعواطفها مراودة لاتستسلم لها القلوب والقلوب دون شمس هذه السماء لم تشرق يوماً على جيل جحد ربه ورفض حياة جيه بانقضاء على غيرته المقدسة

وقد اختم صديقنا جميع هذه الانتقادات بقوله انه لم يكن لمصطفى صادق الرافعي او لسواه ممن ذكرنا في تمهيدنا لترجمة زرادشت ان يحفزنا الى هذه الترجمة فان من هدانا الى نيتشه وريتان واضرابهما انما هو فرح الطون

فهل يريد الناقد ان يقول ان احداً لم يكن يعرف فلاسفة الغرب لولا المرحوم فرح ؟ ان هذا المقري الكبير عاش قبلنا فكان من الطبيعي ان يقرأ نيتشه وغيره قبل ان قرأه من جاؤا بعده ولا نعلم لماذا يريد الصديق الزحلاوي ان ينكر على أعلام من الأدب العربي ان يكونوا هم من رغبوا الينا في ترجمة زرادشت أثناء محادثة جرت بيننا كما ذكرت في تمهيد الترجمة

***

هذا ما رأينا إيراده بصدد نقد صديقنا الزحلاوي الذي كتبهُ ولاشك في ساعة ملال في حين كنا ننتظر منهُ نقداً يهدينا الى مواطن الخطأ ولعله فاعل في عودة الى زرادشت والاعترافات او لعله على الأقل يأخذ بما عرضناه على رويته عندما يتناول بنقده الكتب الباقية

الاسكندرية فليكس فارس

كيف تدور الارض حول الشمس

اذا تأملنا في أي رسم للفصول الاربعة نجد ان ميل محور الارض الثابت في جهة واحدة له تغييرات اربعة بالنسبة للمدار وهي أولاً مائل داخل المدار وثانياً مائل جهة السير في المدار وثالثاً مائل خارج المدار ورابعاً مائل جهة عكس السير في المدار. ولو طبقنا هذا الفرض على العمل لما وجدناه يطبق تمام الانطباق. مثال ذلك: اذا نظرنا الى السماء ورأينا الطيور والطائرات وهي طائرة في الفضاء (هذان مثلان يمثلان الحقيقة لدوران الارض لحدوثهما في الفضاء كالارض) ثم نظرنا على الارض ورأينا القطار والترام نجدهما كلما اذا دارت في دوائر او في انحناء او في مدار كمدار الارض ان محاورها جميعاً تكون مائلة داخل هذه الدوائر ما دامت تسير فيها واذا غيرت مثلاً هذا الميل لمحاورها من داخلها الى خارجها (وهذه صفة من الصفات الاربع التي اختص بها ميل محور الارض وهو في نفس المدار كما بينا سابقاً) اخرجت من السير او الدوران فيها الى اخرى غيرها اي الى دوائر او انحناء أو مدارات اخرى. هذه امثلة نجد فيها الطبيعي كالطيور والصناعي كالطائرات التي هي وليدة العلم وتطبيق العلم على العمل والتي فيها اثبت العلم بصفة عملية انهُ لا يمكن ايجاد دوران او انحناء بدون ميل لمحاورها داخلها ولم يكن العلم قد أثبت هذا في الفضاء فقط وانما أثبتهُ أيضاً على الارض في قضبان الترام والسكك الحديدية في جعلها منخفضة قليلاً عن الأخرى المقابلة لها والخارجية للدوران او الانحناء

نرى مما تقدم ان جعل مهندسي الطائرات والترام والقطار ان يميلوا محاورها داخل الدوران او الانحناء كي يحصل الدوران او الانحناء لم يكن عن جهل وانما أخذوها عن علم درسوه فهو ميل اجباري لا اختياري. ومن حيث ان مجرد ميل محور الارض لادخل للجاذبية فيه ولا هو طبيعي لان الطبيعي هو الاستواء قبل محورها اذن مسبب لذلك يجب ان تخضع للنظام السابق وهو أن يكون محورها دائماً مثلاً داخل المدار مادامت هي الارض تدور في نفس المدار حول الشمس. وبالتجربة نجد ان هذا الميل لم يكن كافياً في تكوين الفصول الاربعة اذن يجب ان نبحث عن كل ما يسبب الميل لنجد سبباً آخر تتم به الميل الاول وهو الناتج من الدوران والذي هو جزء من الحقيقة حتى تحصل الفصول — أما أهم ما يسبب الميل فالآتي: —

(١) ميل ناتج من عدم تساوي أجزاء لاخرى مقابلة لها (٢) ميل ناتج من الدوران (٣) ميل ناتج من وضع أشياء على سطح غير مستو (٤) ميل ناتج من الصعود والهبوط في منحدر (ويحصل في الفضاء وعلى الارض وفي الماء) وبعد الاختبار نجد رقم (٤) متمماً لرقم (٢) حتى تحصل الفصول

أذن مدار الارض يجب ان يكون منحدراً لا أفقيًا . مرتفع من جهة فصل الربيع والصيف ومنخفض من جهة فصل الخريف والشتاء . فاذا سارت الارض في ارتفاع تدريجي من الخط الفاصل بين الشتاء والخريف حتى تصل المستوى الافقي للشمس ليحصل الربيع ومن هناك تأخذ في الارتفاع تدريجيًا عن هذا المستوى حتى تصل الى الخط الفاصل بين الربيع والصيف ومن عنده تأخذ في الهبوط تدريجيًا حتى تصل الى المكان الذي بدأت منه السير . يلاحظ ان السير في هذا المدار المائل مستواه يجعل محور الارض يميل الى اسفل اي الى جهة واحدة مهما صعدت الارض وهبطت فيه ويجعل له نفس التغيرات الاربعة بالنسبة للمدار وهي السابق شرحها ولكن حاصله هنا بصفة عملية لا بصفة فرضية . بقي اشياء اخرى يجب ان اشرحها . سبق ان ذكرنا ان الانحناء او الدوران يسبب لنا . ولكن ميل الانحناء يكون اقل بكثير من ميل الدوران ويمكن ملاحظة ذلك في الاشعة الشمسية . وبما كان مدار الارض عبارة عن خطين بهما انحناء قليل عند الاعتدالين فالسير عندهما يسبب ميلاً قليلاً وكذلك السير عند الانقلابين يسبب ميلاً كثيراً لانهما جزءين من دائرتين فيميل محور الارض الثابت في جهة واحدة بميل قليلاً من نمرة [٢] داخل المدار عند الاعتدالين . ويميل منها اكثر [٢] عند الانقلابين ولكن يكون عندهما صالحاً في تكوينهما لاني قد وجدت بالتجربة ان بعد الكرة الارضية في ارتفاع او في هبوط عن المستوى الافقي للشمس بسبب هبوط اشعة الشمس قليلاً من عاليها الى اسفل عما لو كانت على استواء هي والشمس فالميل الناتج من الدوران وهو نمرة [٢] يكون معوضاً لما فقدته من النقص في اشعة الشمس عند الصيف الذي احدثته نمرة [٤] وتنقص نمرة [٢] ايضاً ما قد زادته الارض من ظلام عند الشتاء الذي احدثته ايضاً نمرة [٤] فميل المحور اذن لم يكن مستقرًا على حالة واحدة . بقي شيء آخر مهم تقوم به أيضاً نمرة [٢] وهو ان الارض اذا كانت مثلاً على مدارها وقت الخريف ومددنا محورها المائل في جهة واحدة الى اعلا المدار في خط مستقيم ثم مددناه بالوصف السابق وهي في الربيع الى اعلا المدار في خط مستقيم لتقابلا المستقيمان بالنسبة لميل كل منهما جهة الآخر من نمرة [٢] فيحصل من التلاقي وجود مجمة قطبية شمالية بالنسبة لوجودها عندها . واما اذا مددنا المستقيمين الى اسفل من نفس المكانين السابقين فلن يتقابلا مهما مددناهما وعدم التلاقي او التقابل لا يعارض طبعاً عدم وجود مجمة قطبية جنوبية بل يكون هناك فقط نجوم تدور في دوائر ولا تغرب عند القطب الجنوبي كالتي حول النجم القطبي الشمالي وجميع السيارات تتصف بهذا الوصف لدورانها في شبه دوائر حول الشمس

سراي القبة محمود متولي علي